الفصل الخامس:

رقابة اللّه

إن أنظمة الرقابة على العمل والجودة في (أ.ج.ش) تعتبر مطلبًا مهمًّا للإدارة، وقد تم في هذا المجال عمل دراسات وبحوث وأنظمة كثيرة، ومختلفة باختلاف طبيعة المنتجات والخدمات، واهتمت (أ.ج.ش) بالتأكيد على أن يكون الهدف من الرقابة هو مدى تحقيق الأداء الفعلي للمستهدف، وفي حالة وجود قصور يتم تحديد الأسباب الفعلية لعلاجها لتجنب وقوعها مستقبلًا، وشددت (أ.ج.ش) على ألا تستخدم أنظمة الرقابة لمحاسبة من يعتقد أنه متسبب في الخطأ أو القصور.

وقد تضمن الإسلام أقوى عناصر الرقابة التي لا ترقى إليها جميع أنظمة الرقابة في العالم، ألا وهي رقابة الله لكل شيء.

إن رقابة الله كاملة ودقيقة وعميقة ودائمة، وليس لها حدود زمانية ولا مكانية، ولا أي حدود أخرى، وإن استشعار المؤمن لهذه الرقابة ويقينه بها سيكون ذلك لا محالة داعمًا قويًّا لأي نظام رقابة مهما كان ضعيفًا، أو قد يؤدي ذلك إلى الاستغناء عن نظام الرقابة أصلًا في بعض الحالات، وقد يكون ذلك أملًا لبعض خبراء (أ.ج.ش).

فالرقابة في الإسلام متكاملة لتحقيق الربط بين جميع مكونات المجتمع، ولها سمات وملامح، وفيما يلي توضيح لذلك:

١) إن أي نظام رقابي في منظور الإسلام يجب أن يحترم آدمية الإنسان، بألا يتضمن ما يؤذي الإنسان في مشاعره وخصوصياته وعرضه وما إلى ذلك، وبالتالي يجب أن يكون النظام نظيفًا وخاليًا من المخالفات الشرعية.

٢) إن رقابة الله تدفع المؤمن إلى الإبداع في الإحسان، وبخاصة في النيات والتوجهات فضلًا عن الإحسان والإتقان للعمل ذاته، وهذا الدفع يكون مستمرًّا في حياة المؤمن لا يتوقف إلا بخروجه من الحياة أو من حظيرة الإيمان، وقد يزيد هذا الدفع وينقص بزيادة ونقص اليقين والإخلاص، وهذه هي الرقابة الذاتية التي اهتم بها الإسلام اهتمامًا فائقًا وفي حديث طويل ومشهور قال رسول الله ﷺ: "**.... الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.....**".

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ {غافر :١٩}.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ** ﴾ { آل عمران:٢٩}.

وقال رسول الله ﷺ: "**لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج للناس عمله كائنًا من كان**".

٣) تتضمن الرقابة في الإسلام- أيضًا- عنصرًا قويًّا جدًّا، ألا وهو الرقابة

الجماعية المحيطة بالفرد في كل مكان، وما يلزم ذلك من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل من رأى منكرًا فعليه أن ينهى عنه، وكل من علم معروفًا أفضل من معروف يمارس أمامه عليه أن يقدم النصيحة بفعله، وهذا هو أهم الجوانب العملية في خيرية الأمة الإسلامية.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ {آل عمران: ١١٠}.

وقال رسول الله ﷺ: **"من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"**.

وقال ﷺ: **"مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجَوْا، ونَجَوْا جميعًا"**.

وهذا يعني أن المسؤولية في الإسلام جماعية، فالكل مسئول عن الجميع، على أن يتم ذلك في ظل نظام وضوابط شرعية.

مما سبق يتضح لنا أن الرقابة في الإسلام لها ثلاثة مداخل تتفاعل مع بعضها البعض، وهي: الرقابة الذاتية، ثم الرقابة الجماعية، ثم النظام الرقابي

العام المتضمن للحدود، وأفضلها هو الرقابة الذاتية التي تتمثل في اليقين والإيمان برقابة الله تعالى، فمن قصّر في هذا المدخل فستكون الرقابة الجماعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ضابطًا لأعماله وتوجهاته، فمن قصر بعد ذلك فسيأتي دور النظام الرقابي بقواعده وأحكامه التي تؤدي إلى ضبط المقصر أو ردعه أو عقابه، حيث يقوم بتطبيق هذا النظام أفراد آخرون هم بدورهم يراقبون الله في هذا التطبيق.

إنه نظام رقابي شامل ومتكامل ومتناسق في ظل الإيمان، وتحت مظلة رقابة الله في السر والعلانية.

إن رقابة الله كاملة ودقيقة وعميقة ودائمة، فهو يعلم ما في القلوب، وهي داعم قوي جدًّا لأي نظام رقابي مهما كان فيه من ضعف